(٨) خطبة له ﷺ فى الاتباع

عن عقبة بن عامر الجهنى أن النبى ﷺ حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أمّا بعدُ .. فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللـه تعالى ، وأوثقُ العُرَى كلمةُ التَّقْوَى ، وخيرُ الملِ ملَّةُ إبراهيمَ ، وخيرُ السُّنن سُنَّة محمَّد صلَّى اللَّه علَيه وعلَى آله وسلَّم . وأشرفُ الحديثِ ذِكْرُ اللَّه ، وأحسنُ القَصَص هذا القُرآن ، وخيرُ الأمورِ عَوازِمُها[1] ، وشَرُّ الأمورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وأحسنُ الهَدْى هَدْىُ الأنبياء ، وأشرفُ المَوتِ قتلُ الشُّهداء ، وأعْمَى العَمَى الضَّلالةُ بعدَ الهُدَى ، وخيرُ العِلْم ما نَفَع ، وخيرُ الهَدْىِ ما اتُّبِع ، وشَرُّ العَمَى عَمَى القَلْب ، واليدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليدِ السُّفلى ، وما قَلَّ وكَفَى خيرٌ مما كَثُرَ وألْهَى ، وشرُّ المَعْذرةِ حينَ يحضرُ الموتُ ، وشرُّ الندامةِ يومَ القِيَامة ، ومِنَ النَّاسِ مَنْ لا يَاتى الصَّلاة إلا دَبْراً[2] ، ومنهم مَنْ لا يذكرُ اللَّه إلا هَجْراً[3] ، وأعظمُ الخَطايا اللسَانُ الكَذُوبُ . وخيرُ الغِنَى غِنَى النَّفْس ، وخيرُ الزَّادِ

---

(١) جمع عزيمة ، وهى الفرائض التى فرضها الله تعالى .

(٢) أى : لا يصلون إلا بعد فوات الوقت .

(٣) والمراد هجر القلب وترك الإخلاص فى الذكر .

التَّقْوَى ، ورَأسُ الحِكْمةِ مَخَافةُ اللَّه، وخيرُ مَا وَقَرَ فى القُلُوبِ اليَقِين، والارْتِيَابُ مِنَ الكُفْر ، والنِّياحةُ مِنْ عَمَل الجَاهليَّة ، والغُلُولُ[1] مِنْ جَثَا[2] جَهَنَّم ، والكَنْزُ كَيٌّ مِنَ النَّار[3]، والشِّعْرُ مِنْ مَزامِيرِ إبليس ، والخَمْرُ جِمَاع الإثْم ، والنِّسَاءُ حِبَالةُ الشَّيطان والشَّبَابُ شُعْبَةٌ من الجُنون ، وشَرُّ المَكاسب كَسْبُ الرِّبَا ، وشَرُّ المآكل مَالُ اليَتيم ، والسَّعيدُ مَنْ وُعِظ بغَيره ، والشَّقىُّ مَنْ شَقِى فى بَطن أمِّه ، وإنَّما يَصِيرُ أحدُكم إلى مَوضِعِ أربع أذرعٍ ، والأمرُ بآخره ، ومَلاكُ العَمَل خَواتمه ، وشَرُّ الرِّوايا رِوَايا الكذب[4] ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ ، وسِبَابُ المؤمنِ فُسوقٌ ، وقِتَالُ المؤمنِ كُفْرٌ ، وأكْلُ لَحْمِه منْ معصيةِ اللَّه ، وحُرمةُ ماله كحرمةِ دمه ، ومَنْ يتألَّ[5] على اللَّه يكذِبه ، ومنْ يَغفرْ يَغفرِ اللَّهُ له ، ومَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللَّهُ عَنْه، ومَنْ يكْظِم الغيظَ يأجرهُ اللَّهُ ، ومن يصبرْ على الرزيَّة يعوِّضه اللَّه ، ومَنْ يتَّبعِ السُّمعة يسمِّع اللَّه به[6] ، ومَنْ يصبرْ يضعِّفِ اللَّهُ له ، ومَنْ يَعْصِ

---

(١) الغلول ـ بفتح أوله ـ: أى: الخائن فى الغنيمة .

(٢) جمع جثوة ـ بتثليث الجيم ـ : وهى فى الأصل الحجارة المجموعة، والمراد أنه من جماعة جهنم .

(٣) أى أن المال الذى لا تؤدى زكاته يكوى به جلد صاحبه يوم القيامة .

(٤) أى: الذين يكثرون رواية الكذب .

(٥) التألى : هو الحلف . والألِيُّ : الكثير الأيمان .

(٦) أى: من سلك سبيل الرياء شَهَّر الله به وأظهر للناس أن عمله لم يكن خالصاً .

اللَّهَ يُعَذِّبه . اللَّهُمَّ اغفرْ لى ولأمَّتى. اللَّهُمَّ اغفرْ لى ولأمَّتى . أستغفرُ اللَّهَ لِى ولَكُم».

(أخرجه البيهقى فى الدلائل، وابن عساكر، وأخرجه أبو نصر السجزى فى الإبانة عن أبى الدرداء مرفوعًا، وابن أبى شيبة، وأبو نعيم عن ابن مسعود مرفوعاً بسند حسن) .

فى هذه الخطبة الجامعة - كما قرأنا - يوجهنا النبى ﷺ توجيهاً مباشراً إلى ما هو خير لنا فى دنيانا وأخرانا، من خلال تلك المواعظ النافعة التى مضمونها - كما قرأنا - أن العبد الموفَّق هو الذى يكون ملتزماً ومرتبطاً بالأوامر التى أمر الله تعالى بها فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وكذلك بالنسبة للمنهيات القرآنية والنبوية .

إنه حينئذ سيكون عبداً مطيعاً لله ورسوله، وهذا هو الفوز العظيم، كما يشير قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(١) .

وإنه بذلك سيكون من الذين أنعم الله عليهم، كما يشير أيضاً قوله تعالى :

---

(١) سورة الأحزاب : ٧١ .

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[1] .

وحسبه كذلك أنه سيكون من أهل الاتِّباع، لا من أهل الابتداع؛ فالخير كله فى الاتِّباع، والشر كله فى الابتداع .

* * *

(١) سورة النساء : ٦٩ .